

(الإعاقة من منظور علم النفس الشعبي والثقافة)

أ/ شافعة جميلة، جامعة الجزائر-2-

ملخص: إنّ الإعاقة في المنظور النفسي الاجتماعي ليس مجرد وصف لحالات ذات إصابات معينة ومختلفة، وإنّما تحمل في مفهومها ديناميكية وفعالية من شأنها التأثير تأثيراً متبادلاً في العلاقة التي تربط المصاب بباقي أفراد المجتمع. وهذا من شأنه أن يؤثر في كليهما تأثيراً نراه سلبياً أكثر ممّا هو إيجابي ممّا دعانا إلى طرح هذا الموضوع في منظور علم النفس الشعبي وذلك لما لهذا العلم من دور في شرح الظواهر المنطوية تحت إطار النفسي الاجتماعي، فهو يصف العلاقة القائمة بين الأفراد والمجتمع في السيرورة التطورية وفي بناء الشخصية من خلال النمو النفسي للأفراد، ويربط هذا العلم بالمجال الأكثر خصوصية له وهو الثقافة، إذ أنّ هذه الأخيرة تسم كلّ مظاهر الحياة الاجتماعية الخاصة بمجموعة معينة من الأفراد، وتطبع حياتهم النفسية، وفي هذا المجال طرحنا إشكالية الإعاقة كعامل مؤثر ويتأثر داخل هذين الجانبين علم النفس الشعبي والثقافة.

كلمات مفتاحية: (الإعاقة ، منظور علم النفس الشعبي ، الثقافة)

1/ علم النفس الشعبي Bruner- La psicologia populer :

الإعاقة من وجهة نظر علم النفس الشعبي: هو علم مؤسس على المعنى وموجه ثقافياً يعتمد في تحليلاته أساساً على الحديث عن صفات المعاق أو المبادئ الفكرية الخاصة بمشاركة الإنسان في الثقافة. واستناداً لها تبني المعاني الشعبية التي تشارك في بناء نموذج الحياة اليومية. علم النفس الشعبي يتخذ المعنى والثقافة في دراسة الإنسان ويستعين بالذاتية في الشرح وتنظيم القيم القصصية، الاعتقادات الرغبات والأمال...

يهتم بهذا لأن الأشخاص يفعلون ما يقولون ومنهما تتلاقى الجذور في اللغة كبنية معرفية مشتركة ثقافياً بالنسبة لـ "Bruner" أساس هذا النوع من علم النفس يتركز على علاقة ما بين ما يفعل وما يقال وهذا التمثيل للفعل وتمثيل للمعنى هما أساسيان لفهم الوضعيات التي تتحكم في أفعال الناس المتوقعة في مسرح خاص والتفاوض لانتهاج القنوات العادية المقبولة شعبياً والتي تقود لأشكال الفعل وإشراط التعايش المدني. (Bruner, J, 1990)

في علم النفس الشعبي لا يوجد تمثيل للمعاني الموحدة بل يمكن أيضاً تمثيل الأفكار العبارات اللفظية أو غيرها والمحتويات، لهذا السبب فكل الدراسات التي تتبع هذه النظرية لابد أن تتخذ أسلوبين لابد من التركيز في المعاني المبنية لأشخاص ينتمون إلى ثقافة معينة وفي المجال الذي تطبق فيه هذه المعاني.

في الكلمات الأخرى المفاهيم لابد من أن تخصص شكل استعمالها في الفعل وفي اللفظ الذي يقود إليه.

علم النفس الشعبي هو تمرين قصصي روائي في رواية القصص، فالقصة حسب "Bruner" هي من أكثر الأشكال تواتراً وتأثيراً في الخطاب الاتصالي الإنساني. (Bruner, J, 1990)

وإذا ما توجهنا للاهتمام بالأشخاص وأفعالهم نلاحظ تدخل التفاعل الاجتماعي فالمحتوى القصصي لحياة شخص ما يأخذ أشكاله من الفعل والتفكير والإحساس الخاص بثقافة هذا الشخص فالإحساس يكون عميقا عندما تحكى قصة حياة ما لشخص محدد وهي في نفس الوقت نتاج واحد لمن يحكيها ومن يسمعها، فالراوي الذي يسرد القصة كثيرا ما يتخذ دور البطل وكذلك ينقل أصوات أشخاص آخرين معنيين وفي نفس الوقت الشخص الذي يستمع يترجم محتوى الرواية حسب نظريته الخاصة، فهم وترجمة الخطاب في هذا السياق هو ممكن فقط لأنه يوجد معاني مشتركة ثقافيا.

المعنى ظاهرة منتشرة ثقافيا وجودها يرتكز على نظام رمزي خاص مشترك داخل الثقافة الواحدة وبهذا فوجود المعاني داخل اللغة والثقافة يسمح لها بالانتشار والاشتراك شعبيا وهذا حسب رأي "Bruner" (Bruner. J, 1990).

فالعبارات ما هي إلا قوة اجتماعية وتاريخية تستدخل في هوية كل فرد وفي كل المؤسسات الاجتماعية فـ "Bruner" يصرح بأن ما يشكل وحدة ثقافية هو أكثر من تقاسم اعتقادات، بل هو معرفة ماهية الأفراد وكيف يقيم هؤلاء الأفراد ما حولهم (العالم) كذلك هناك نوع من التوافق يلعب دور في التعايش الحضاري في نفس الوقت يمكن للإجراءات التمثيلية مقاضات- عندما يتطلب ذلك - مختلف البناءات الواقعية والتي لا يمكن تماشيها في أي مجتمع والتي يمكن أن تخلق انقطاع في التعايش. (Bruner. J, 1990)

بالنسبة لـ "Bruner" القدرة على الرواية لدى البشر هي الوسيلة الأساسية لشرح وتحديد صراعات الحياة اليومية. (Bruner. J, 1990)

الحكاية تجعلنا نفهم الحدث المحكى من وراء الستار بشكل أعمق من المعتاد ونتقبله كمرحلة أولية للحياة حتى وإن فهمنا الحدث فهذا لا يجعلنا أكثر سرورا فالانتماء إلى ثقافة قابلة للحياة والارتباط بحكايات مترابطة لا يعني بالضرورة أن هناك توافق وإجماع فالصراعات يمكن أن تشرح على أنها تشعب في المعاني والمحتوى وفي شرعية الحياة وهذا يمثل الخاص المتشعب أو المتباعد داخل ثقافة ما.

إن قراءات الرسالة التي تعبر عن التشوه أو العجز والآتية من الإعاقة والنتيجة عن المحيط الاجتماعي وما يحتويه من ثقافة والإجابات الحاصلة عن المجتمع لمواجهة المواقف وكيف يؤثر كل هذا على التجربة الفردية المعاشة من طرف الشخص المعاق وعائلته، حيث يمكن ملاحظة مع إعاقة طفل مفهوم خاص والذي ينطبق وآراء "Bruner" بأن صفة الإعاقة كحالة غريبة فهي معاشة بشكل خاص ومصاحبة للفرد المعاق وعائلته مدى الحياة، ولهذا السبب ينتهج تغييرات مستمرة للتكيف مع الواقع عبر قنوات اجتماعية مختلفة وهذه السيرة توضح كيف أن الوالدين يتخذان المحتوى الاجتماعي للحكاية أو الرواية التي رواها غيرهم عن الإعاقة والمفاهيم المتعلقة بذلك) (Bruner. J, 1990).

والتي جاءت نتيجة إحساس، تفكير وتعبير كل هذا كون المفهوم وكذلك من خلال طريقة تفكير الأشخاص الغير معاقين والذين يركزون حسب "Sorrentino" على الفروق الجسمانية أكثر من مدلولها الحقيقي. (Sorrentino. A, 1990).

يقول "Scholl" أن السلوكات نحو الأشخاص المعاقين تنحوي نحو السلبي وتتركز في ما لا يمكنهم فعله دونما الجوانب الأخرى. (Scholl.G, 1986)

يمكن للوالدين ان يكتسبا معاني جديدة للإعاقة حسب ما أتى به "Bruner".

إحساسنا بالعادي يتغذى من الروايات ولكن في نفس الوقت يتلاقى من مفهومنا بالانقطاع (Bruner. J, 1990).

فعمليات تعليم المعاني عن وضعية الإعاقة تعتمد على الجهد النفسي للوالدين في إيجاد تعاملات ملائمة مع أولادهم المعاقين بالإضافة لما تشكله تغييرات المفاهيم الثقافية والتاريخية حول الإعاقة الخاصة بكل مجتمع فالقيم الاجتماعية التي تتحكم في التعايش الاجتماعي تصبح بمثابة أزمة عندما يتعلق الأمر بالإعاقة.

إن التساوي في الحقوق للمواطنين والتكافؤ في الفرص من أجل حياة إيجابية، الحق في التربية، في العمل، في الاستقلالية في الصحة وفي حياة اجتماعية سليمة كل هذا يقابله فشل بسبب واقع مؤلم يتحكم فيه الاختلاف وعلى المجتمع إيجاد سبل عملية تمكن من التقارب ما بين من هم معاقين ومن هم غير ذلك، وليس فقط التحدث على إدماج المعاقين في حين كل التنظيمات هي معدة للأصحاء فكيف يمكن إدماج غيرهم في محيط لا يستجيب لمتطلباتهم.

يصح "Scholl" أنه أغلب المعاني المتعلقة بوضعية الإعاقة مؤسسة على اعتقادات خاطئة البعض منها متوارث ثقافيا جاء نتيجة الاعتقاد بأن الإصابة بالإعاقة هي عقوبة على أفعال منافية لأخلاقيات المجتمع، وبالنسبة له التمثيلات المتعلقة بالعمى مثلا جاءت من خلال المبصرين في محاولتهم التحرك مغمضي العينين وفي إحساسهم بالظلام، هذه التجربة تجعلهم يظنون ان فاقد البصر يعيشون نفس الحالة بينما في الواقع أغلب الغير مبصرين يعيشون تجربة أخرى نتيجة معاشتهم لذلك فاستجاباتهم تختلف عن مجرد الوجود في الظلام للحظات فالإكتساب واستدخال ما في المحيط الخارجي لهؤلاء يتم عبر قنوات خاصة بهم كالإحساس اللمسي مثلا - عبر مراحل من الزمن زيادة على إدراكهم لبعض عناصر المحيط المرئي كالضوء و الخيالات- لما يحتفظ به البعض الآخر من بقايا الرؤية وحركات الأشياء من خلال السمع.(Scholl.G, 1986).

يوضح "Scholl" أن هذه المفاهيم الخاطئة حول العمى تضم المعنى الاجتماعي لهذه الأخيرة كما أنها نتيجة لتجارب وسلوكات وتعميمات التي لا تؤثر فقط على علاقة الآخرين بفاقد البصر، بل تؤثر على المصطلح أكثر من تأثيرها على ذات المعنى (Scholl.G, 1986) وعن الوضعية ذاتها يقول " Sorrentino " أن الموروث والاعتقادات الاجتماعية هي المسؤولة مباشرة على الإدراك المبني والغير المبني للإعاقة وعلى من يحملها وعائلته.(Sorrentino. A, 1990).

يعتقد "Scholl" أنه يوجد موقفين حول معنى الإعاقة لدى حاملها الأول متعلق بوضعية الإعاقة التي تتطلب إعادة تنظيم كل عمليات التكيف مع الواقع والثاني هو عدم الملائمة الإجرائية نتيجة الحكم المسبق والتمييز الاجتماعي الحاصل على هؤلاء المعاقين فلو أمكن إعطاء فرصة لهم من طرف المجتمع ولو سمح لهم بذلك لأنهم لبلوغ مستوى معين من التكيف الشخصي والاجتماعي والاقتصادي، فالطريقة التي فهم بها المعاق معاني إعاقته تتوقف على مجموع القيم في سياق موجه إلى كيف يتلقاها الآخرون إذا تلقوها بشكل سلبي يؤدي ذلك إلى شعور المعاق بالدونية، بالنقص، بالانكسار ويستنتج من هذا أن وضعهم كأقلية والتمييز المنتهج نحوهم هو واقعهم أي الأشخاص المعاقين ولتغيير هذا الواقع لابد أن يتمتعوا بقوة كبيرة ويسلكوا حول استعمال مجهودات كبيرة من أجل ذلك.(Scholl.G, 1986).

إن إمكانية المفاوضة الخاصة بالمعاني وبأخذ بعين الاعتبار الأفعال في وظيفتها مع المواقف والأحداث المصاحبة لتلك المواقف تؤثر فهم الإعاقة فيمكن الأشخاص بشكل مختلف وموائم التصرف يخلق معاني جديدة تغير أشكال أفعال وأفكار الأشخاص فهمهم، وكذلك المؤسسات الاجتماعية بفضل اللغة، إن إيجاد مجال يمكن من خلاله للأشخاص المعاقين وصف والتعبير عن وضعيتهم بصوتهم الخاص ومن خلال تجربتهم الذاتية.

من شأنه تغيير المعاني وطريقة لعب الأدوار فيضمحل التمييز ويمكن للآخرين الرؤية دون تحيز هذا التمييز الذي جاء من خلال إدراك الآخرين للإعاقة على أنها ما لا يستطيع فعله أو عمله أو بلوغه.

والتركيز على الخلل الوظيفي من خلال رؤيتهم للأداء الوظيفي الخاص بهم وعدم إمكانية إدراك مبدأ التعويض في الأداء الوظيفي فالذي لا يمكن القيام به بعضو معين يمكن تعويضه بعضو آخر، فمبدأ التكامل الوظيفي لأداء أعضاء الجسم هو حقيقة واضحة زيادة عن الإحساس والمعاش النفسي لكل تجربة معينة والذي يشكل عامل أساسي في تحسين وتطوير ونمو الأداء لدى الأشخاص، كما أن للأعضاء تكاملا في أدائها للوظائف، فالشيء نفسه بالنسبة لحواس فالذي لا يمكنه الرؤية مثلا يسمع ما يحيط به عن طريق حاسة السمع فالأصوات هنا تمكنه من اكتساب مجال الأبعاد والمسافات، وبواسطة حاسة الشم يتمكن من معرفة الأماكن وأنواع الأطعمة وأشكالها وعن طريق حاسة اللمس يتمكن من تحديد الصلابة والليونة وعمق وسمك الأشياء، كل هذا بمرور الزمن يكون له خبرات عن المحيط الخارجي فتكون له صور ذهنية واضحة عن كل الأشياء التي تحيط به فمثلا بمقدوره إدراك الألوان بواسطة ربطها، مع الأشياء الممثلة لها فالأخضر لون الشجرة والأزرق لون البحر وهكذا والذي لا يسمع يرى هذه الأشياء ويتلمسها وتمكنه لغة الإشارة من الإحساس بها وتفهمها والذي لا يمشي، فالتكنولوجيات الحديثة وما وصل إليه التعمير وأساليب المدنية الحديثة سمحت له بالولوج والوصول إلى أماكن مختلفة كالمصاعد والتهيئة العامة للطرق والمؤسسات.

فلا تكاد تخلو الإعاقة من وجود سبل لتجاوزها، فالأمر متعلق بطرق مختلفة للأداء وليس قصور في ذلك فالكل يؤدي دوره بطريقته فلا يوجد قصور وإنما تقصير في وجود الوسائل المناسبة والملائمة ومع التقدم العلمي والتكنولوجي، ونمو الفكر وتطور الذهنيات في

اعتقادنا موضوع الإعاقة سوف يتجاوز ويصبح لا يشكل أزمة على المستوى الفردي ولا الجماعي.

1-1/ الإعاقة والمجتمع:

تتأثر طبيعة علاقتنا مع الأشخاص المعاقين في أغلبها من خلال التجارب التي تتأسس على المفاهيم المكونة لتعريف الإعاقة، فالأشخاص المعاقين يصبحون بذلك محل جذب عدد كبير من التمييزية وبذلك وضعهم في محل العديد من الصفات التمييزية داخل المجتمع وهذا ما يراه "Hahn" على أن الأشخاص المعاقين لديهم نقص بيولوجي أو فيزيولوجي (Hahn.h,1986)، مفهوم الإعاقة داخل الفئات الاجتماعية والسياسية مأخوذ على وجه الإقصاء والمحدودية في مختلف الأنواع الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية وهذا ما يراه أيضا "Oliver" Fulcher (Fulcher. G, et Al, 1989).

فالنموذج التاريخي المرتبط بذلك يصف بوضوح مكانة هؤلاء والتي هي الأحقر في المجتمع مقارنة مع بعض الحالات أقصيت وهمشت في جماعات أخرى على مر التاريخ.

عرفت الإعاقات بشكل عام في علاقتها بالقدرة على التهميش والانتكالية حسب مختلف النظريات، نلتقي وضعيات التهميش والانتكالية مع الاحتياجات الخاصة للمعاقين من أجل إدماجهم الطبيعي في المجتمع، ونظرا لحاجاتهم للمساعدة يبقون تحت وطأة الانتكالية وهذا يؤدي بهم إلى الإقصاء وبشكل آخر لعدم مقدرتهم للقيام بوظائف معينة، خلاصة هذا أن ذوي القدرة المحدودة في المجتمعات الأوروبية يبقون في اتكالهم على الآخرين أو بشكل آخر لا يمكنهم تجاوز الحواجز التكنولوجية، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية والتي تتواجد في المجتمع وبالتالي يبقون على حافة المجتمع مهمشين.

يقول "Apple" تحت أي ظرف لا يمكننا إبعاد الأشخاص ذوي القدرة المحدودة عن المجتمع لأنه بهذه الطريقة نخاطر بالذاكرة الجماعية لأن إشكاليات القدرة، العدل، التساوي المدنية والديمقراطية المشتركة تبقى حبر على ورق في مقابل الإعاقة. (Apple,1993).

وضعا "Oliver" و "Shakes peore" فكرة التضامن الجماعي بينما "Young" يصرح أن هناك تساوي بين الفئات الاجتماعية التي تختلف في الثقافة والتي يحترم الواحد منها الآخر (Young, 1990)، ويصرح كل منهما للآخر عن الفروق بينهما. (Oliver, et Al ,1993)

مفهوم غير عادي كهوية مطروح في الكثير من الحالات كمتغير سلبي لذا البحث والنضال ضد هذا المفهوم يكون هوية ثقافية إيجابية بمرور الزمن وعملية التبصر لهذا الموضوع ونضال الأشخاص المعاقين ضد هذا التمييز والأحكام المسبقة التي تتظاهر بأشكال عديدة سواء فردية أو مؤسسية، هذا الوصم الذي لا يفرق هذا عن ذاك وما يحمله من السلبية لا بد من إيجاد طريقة أخرى، اعتقاد آخر مبني على العدل الاجتماعي، والذي يكفل لهؤلاء المقصيين المهمشين الكرامة والتضامن.

النقص الجسماني أو النفسي هو حاجز ضد القدرة والاختيار بالنسبة لـ "Morris" العلاقة بين الإعاقة والرفاهية مكونة للبحث عن التوازن الصحيح الذي يسمح بتوزيع الإعانات، من خلال هذه النظرة هناك شك في جلب السعادة الممكنة للأشخاص والحفاظ على سعادة أشخاص هم سعداء أصلا. (Morris, 1993).

وفي هذا الشك المفهوم الصحيح للمنفعة الأساسية أي محاولة إسعاد الأشخاص في الأولى أكثر من الثانية والتمييز هنا بمفهومه الواسع ليس متوقف على المحيط الاجتماعي فقط وإنما يتعداه إلى الأفراد وإلى الجماعات والتمييز يمكن أن يشمل جميع مجالات الحياة بالنسبة لـ "Morris" هدفنا هو مجتمع يعترف بحقوقنا، قيمنا كمواطنين متساوين وليس المجتمع الذي يتحدد في معاملتنا كمستقبلين لإرادة أشخاص آخرين. (Morris, 1993).

إذ مساعدة الأشخاص ذوي القدرة المحدودة يحد من استقلاليتهم ويزيد من استمرار المفاهيم السلبية المرتبطة بالإعاقة، ونظام التمييز والتفريق مما يغذي مختلف المتغيرات المكونة للإعاقة في حد ذاتها فيبقى على تلك الصورة السلبية لها لذا فالأمر لا يتعلق بالمساعدة وإنما بالاندماج.

النقص وعدم القدرة يتظاهران عند الأشخاص الحاملين لمشاكل جسدية أو نفسية أول شيء يرتبط بالنقص هو الأسباب الطبية التي تعرف بواسطتها أن الشخص معاق، يرى المفهوم المحدد للنقص في المحيط الخاص للأشخاص مما ينتج مشكل عدم الاعتراف

بالمحدودية الشخصية.

عدم القدرة مفهومة في الأسباب الاجتماعية المتعلقة بالاعتراف من جانب المجتمع الخاص بالأشخاص الذين يشكلون العجز، وهنا يأتي علم الاجتماع لمعالجة المشاكل الاجتماعية الإعاقة والمعاقين.

اختلفت المعاملة الإنسانية لمعاقين عبر التاريخ في أوقات وأماكن مختلفة ففي اليونان مثلاً كان ترك الأطفال الذين يحملون تشوهات دون رعاية حتى الموت.

بينما في مصر قامت العديد من الحروب بين القبائل إثر ما خلفته حروب أخرى من معاقين وتطلب ذلك الحصول على المزيد من العبيد لخدمة هؤلاء المعاقين، وفي إفريقيا وعند القبائل الرحل كان يعامل المعاق برعاية حيث كان يُعْتَنَى به عبر كل مراحل حياته وحتى الموت.

ومثال على ذلك امرأة مقعدة عاشت لمدة تسعة وستون سنة اعتنت بها وساعدتها قبيلتها حتى موتها والأمثلة كثيرة على ذلك في القبائل الإفريقية وفي الحرب العالمية الثانية بلغ عدد المعاقين نتيجة الحرب ما يقارب 430 ألف رجل، كانوا يتمتعون بامتيازات لم يكن يتمتع بها غيرهم من الأسوياء فقد أعيدهم إلى مناصبهم لمدة ثلاث سنوات على التوالي ليحاولوا إلى التقاعد بكل الامتيازات وهنا نلاحظ تقدير المجتمع للأفراد المستحقين لذلك.

1-2/ المعاق في الجماعة:

الجماعة من وجهة نظر الاجتماعية هي الأداة التي يستخدمها المجتمع في تنشئة أفراده وغرس القيم وتصحيحها، وتدعيمها والمحافظة على استمراريتها ويتوقف جزء هام من التنشئة الاجتماعية بنوعها الذي يقدر الفرد وظروفه وتزداد أهميتها في حالة وجود إعاقة، وعلى نوع الجماعة التي ينتمي إليها المعاق ولما كانت التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة، حيث أنها عبارة عن العمليات التي تكسب الفرد الطبيعة الإنسانية وتطور شخصيته، وتعد الفرد وتسير له المشاركة مع الآخرين في المجتمع، ولأن الجماعة هي المرأة الحقيقية التي يستطيع الفرد من خلالها إدراك ذاته فإن مجال استخدام الجماعة يتعدى المساهمة في عمليات التنشئة الاجتماعية إلى إعادة تصحيح مسارها. (Ravaud. J, et Al, 1994)

حيث أن عملية التنشئة الاجتماعية تتم داخل الجماعة وبواسطتها كإحدى العمليات الطبيعية التي تقوم بها وتوفر طريقة العمل مع الجماعات من خلال الجماعة الفرص التي يتمكن بها العضو من تدعيم مقدراته على إدراك وتحقيق ذاته خلال علاقته وارتباطاته الاجتماعية والاجتماعية المتغيرة.

- إن المعاق في المراحل الخمس التي يمر بها وهي تبدأ بالإنكار والرفض للإعاقة ثم مرحلة الثورة والغضب ثم مرحلة التسليم والإقرار، ثم مرحلة الإحساس بالضعف وأخيراً مرحلة تقبل الإعاقة والتعايش معها، يحتاج إلى جماعة فإذا بدأنا بالأسرة كجماعة أولية مستقبلية للابن المعاق وإطار من الأطر الدائمة والمستمرة في تأثيرها على الأبناء.

- ينظر كثير من الباحثين إلى أنماط التفاعل الاجتماعي الذي يسود الجو الأسري بين الابن المعاق ووالديه وإخوته من جهة أخرى، على أنها عوامل مؤثرة على حاضر ومستقبل المعاق، إن استجابة الأمهات والآباء نحو أبنائهم المعاقين تمر بسلسلة كاملة من المشاعر السلبية كالندم، الرفض والنبذ، اتهام الذات والمشاعر الإيجابية كالتقبل، الفهم، الحسم، الأمر الذي يترتب عليه سعادة للابن المعاق، وتحقيق الأمن له، وتيسر الحياة البناءة تحت القيود المفروضة بسبب هذه الظروف وقد يتقبل بعض الإخوة والأخوات المعاق بتدزم مما يشعر المعاق بالإهمال وبأنه وصمة عار في حياة الأسرة.

وقد كشفت بعض الدراسات الميدانية في هذا المجال على أن اتجاهات الأسرة نحو ابنها المعاق تتمثل في عدة مراحل تبدأ بالصدمة عند الولادة، ثم الإنكار ويظهر في رفض الأسرة إعاقة طفلها والتشكيك في رأي المختصين ثم الغضب عند التأكد من إعاقة الابن. والمرحلة ما قبل الأخيرة الشعور بالذنب والحزن إزاء إعاقة طفلها لاعتقادهما أنهما السبب في ذلك، والمرحلة الأخيرة مرحلة التقبل والاعتراف ويؤثر كل هذا على نمو شخصية الابن المعاق متظاهراً في ديناميكيات نذكر منها:

- اتجاه الحماية الزائدة وهو كالتسلط يسلب رغبة الابن في التحرر والاستقلال حيث لا تتاح للابن فرصة القيام بواجباته وما يخصه مما يؤثر على خبرته بالسلب وتخلّف منه شخصاً قلقاً غير قادر على تحمل المسؤولية.

- اتجاه الإهمال والنبد: وقد يكون هذا الإهمال صريحا أو غير صريح، وهذا يبني في نفس الابن روح العدوان وزيادة الحساسية والإفراط في الشعور بالذنب وعدم الانتماء للأسرة.
- اتجاه التدليل الذي يظهر في التراخي والتهاون في معاملة الابن وعدم توجيهه لتحمل أي مسؤولية مناسبة، ويظهر التدليل أيضا في اهتمام الأسرة بإشباع احتياجات الابن في الوقت الذي يريده، مهما كانت غير مشروعة ومن ثم يتعود عن الأخذ دون العطاء ولا يستطيع الشعور بالمسؤولية ويتعرض سريعا للاضطرابات عندما يواجه أي موقف عارض.
- اتجاه التذبذب: وهو التآرجح بين الثواب والعقاب واللين والقسوة مما يجعل الطفل في حيرة دائمة وقلق مما يخلق شخصية غير مستقرة.
- اتجاه التفرقة: ويترتب عليه شخصية تتسم بالحقد مليئة بالغيرة والذي يحظى بالاهتمام وتتكون لديه اتجاهات أنانية ولا يهتم بمشاعر الآخرين.

تلك الاتجاهات تؤثر سلبا على النسق القيمي لمعوق وعلى التفاعل بين القيم المختلفة وعلى علاقاته طوال حياته إن لم يتم التعامل معه داخل جماعة مناسبة تحت إشراف مهني سليم. (بدر الدين كمال عبدو، 1999).

2/ تأثير الثقافة في الشخصية:

تؤثر الثقافة في الشخصية من خلال أربعة عوامل:

2-1/ التربية: يعتبر تأثير التربية في الشخصية متفق عليه من قبل علماء النفس وعلماء الاجتماع والإنثروبولوجيين، وهو ما يؤكد الدور الأساسي الذي تؤديه التربية في تكوين الشخصية، أشار عالم السلوك "Watson" إلى أن طبيعة الطفل تتسم بقدر من المرونة وقابلية التشكل في أية صورة يريدها أفراد الجماعة. (أحمد بن نعمان، 1996).

كما أشار "Ralph – Linton" إلى أن الأطفال الذين يُولدون في مجتمع معين يُربون تقريبا بنفس الكيفية من جيل إلى جيل. إن الأهمية الحقيقية للنماذج التي تتحكم في تكوين الأطفال تكمن، في تأثيرها على المستويات العميقة لشخصية الأفراد الذين تمت تربيتهم حسب هذه النماذج وتبين أن السنوات الأولى من عمر الفرد تعتبر ذات أهمية قصوى في تكوين الشخصية. وقد تم اكتشاف هذا الأمر عند دراسة أفراد غير أسوياء حيث اتضح أن بعض ما ينفردون به من سمات في شخصياتهم يكون مرتبطا بكيفية وثيقة بخبرات غير عادية قد تعرضوا لها في مرحلة طفولتهم، وتبرهن الدراسات المقارنة التي أجريت لثقافات مختلفة أن العديد من السمات التي تتميز بها شخصيات الأوروبيين والتي كان يسود الاعتقاد أول الأمر أنها ترجع لعوامل فطرية قد تثبت أنها ترجع لأنماط ثقافية خاصة بتربية الأطفال لدى الأوروبيين.

في كل المجتمعات نجد أن العلاقات الممارسة على صعيد العائلة الواحدة تقترب من المعايير السائدة في ثقافة المجتمع وهذا ينتج عنه أن الأطفال الذين عاشوا في مجتمع ما يكونون غالبا مندمجين في حالات عائلية مماثلة، وأن شخصياتهم تبرز عناصر فيها عناصر متعددة مشتركة بينهم في المستويات العميقة منها، وقد دعمت هذه النتائج بدراسات أجريت على عدد كبير من المجتمعات وفي كل حالة نجد ترابطا بين الأنماط الثقافية الخاصة بالنظام العائلي وتربية الأطفال من جهة ونوع الشخصية الأساسية للكبار من جهة أخرى. (أحمد بن نعمان، 1996).

لوحظ أن المجتمعات التي يسود فيها نمط ثقافي يفرض الطاعة المطلقة على الأطفال للوالدين كشرط أساسي للحصول على مكافأة، فإن شخصية البالغين الأسوياء ومن هؤلاء الأطفال تتسم بالخضوع والتبعية وعدم الخلق على الرغم من أن هؤلاء الأفراد يكونون قد نسوا تلك الخبرات التي تشربوها في طفولتهم، إلا أن أثارها تبقى ظاهرة المعالم في شخصياتهم تطبعها بسمات خاصة.

2-2/ التعليم: يمتد التعليم على امتداد عمر الفرد، ويتم بكيفية إرادية غير مفروضة على الفرد في غالب الأحيان فهو يأخذ الثقافة ويتبنى القيم ويكتسب الخبرات المختلفة التي توجه سلوكه بحسب مقتضيات الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع، ولئن ثبت أن ثقافة أي مجتمع تحدد المستويات العميقة لشخصيات أعضائها، بواسطة الأنماط الثقافية الخاصة بتربية الأطفال فإن هذه الأنماط لا تنتهي عند مرحلة الطفولة وإنما تستمر في تشكيل الكثير من العناصر الباقية في شخصيات أفراد المجتمع، وذلك عن

طريق تزويدهم المستمر بنماذج يكتسبون عنها عن طريق التعليم ويُقلّدونها في تكيّفهم مع بيئتهم الاجتماعية. وتستمر تلك العملية إلى مرحلة متأخرة من عمر الإنسان ولا تقتصر على مرحلة الطفولة كما هو الحال بالنسبة للأنماط الثقافية المتعلقة بتربية الأطفال، وذلك على اعتبار أنّ الفرد يصادف دوماً خلال مراحل حياته المختلفة مواقف تتطلب خبرات جديدة تتلاءم مع المركز الذي يحتله في المجتمع وفي كل مرحلة من هذه المراحل يجد في الثقافة منبعاً يتزود منه بالنماذج السلوكية التي تلائم موقفه وتجعله ينسجم مع الشخصية الأساسية لأفراد المجتمع الذي ينتهي إليه، ومن الواضح أنّ الأنماط الثقافية في أي مجتمع تتسم بالترابط النفسي والانسجام والتناسق. (أحمد بن نعمان، 1996).

فلا يمكن أن يجبر الفرد الذي يتبنى هذه القيم أن يأتي بأفعال تتعارض مع شخصيته وبذلك فإنّ أشكال الشخصية تختلف باختلاف الثقافات، فالشخصية هي مجموعة السمات الأكثر تكراراً بين أفراد المجتمع الواحد ويؤدي التعليم دوراً كبيراً في عملية اكتساب الأفراد لهذه السمات التي تشكل الشخصية الأساسية.

2-3/ التغير الثقافي: إنّ التغير الثقافي يحدث بكيفية طبيعية ومستمرة بدرجات متفاوتة من مجتمع إلى آخر بحسب درجة تعقد الظواهر الثقافية في المجتمع ووساطتها، وهذا التغير له أثر واضح على الشخصية في المجتمع، وبصفة أوضح على شخصيات المركز وخاصة في المجتمعات المتقدمة ذات الثقافة المعقدة التي تتصف بأكبر قدر من السرعة في التغير وأقل قدر من التجانس على خلاف المجتمعات الصغيرة التي تتصف بثافتها بأقل قدر من التعقيد واللاتجانس، وترى " M. Mead " أنّ أهم عوامل تغيير الشخصية العامة للمجتمع والتغير الثقافي وتتضح من خلال تغييرات الشخصية عبر الأجيال، حيث أنّ اختلاف سمات شخصية الآباء عن شخصية الأبناء من الظواهر النفسية التي تميّز بوضوح عملية التغير الثقافي وكل عضو من كل جيل من الأجيال يساهم بقدر معين في عملية هذا التغير الثقافي الذي يصطدم مع الشخصية العامة للمجتمع غالباً ما يكون مآله الفشل. (أحمد بن نعمان، 1996).

2-4/ الصدمة الثقافية: وتحدث الصدمة الثقافية عند تعرض المجتمع لظروف صعبة إثر تعرضه لكارثة من الكوارث كالزلازل أو الحروب المدمرة حيث يعقب ذلك نوع من فقدان الثقافي نتيجة تغيير البنيات الأساسية للمجتمع فيفاجأ الأفراد بوجودهم أمام نسق ثقافي مضطرب مع ذلك يحاولون التمسك ببعض القيم في حالة عدم وجود البديل الذي يقبلون به ويتفق مع شخصيتهم الأساسية. (أحمد بن نعمان، 1996).

3/ الإعاقة ودينامية الشخصية:

كل فعل في موقف ما يتطلب تحضير الأفكار والإحساس والأفعال، عندما يكون عدم التوازن الناتج عن ضعف وسائل الدخل أو التفكير نجد الشخصية نفسها محل الشكوك وتبدأ بالتنقيص من ذاتها مما يجعلها تشعر بالذنب والوقوع في لوم الذات أو لوم الآخرين من جراء حالة الضعف التي تعاني منها، كل شخص هو في بحث مستمر عن الوسائل التي من شأنها مساعدته على التكيف مهما كان موقفه أو حالته الجسدية والعقلية والعاطفية.

- الهوية وصورة الذات ليست إلا بعد تطوري للمعلومات على الذات، حب الذات لشخص وهذه المفاهيم تدخل في إطار

سيرورة أوسع وهي ما يسمى ب الشخصية

"La Personnalisation"، هذه الأخيرة كمعطى واضح للذات في سيرورة الحياة لها أربعة أبعاد أساسية:

- 1- البحث عن القدرة: القدرة على الفعل، القدرة على الحصول على ما أريده مع القدرة على المراقبة.
- 2- البحث عن المعنى وإختيار الاتجاه لفهم، شرح، توجه، تحقيق المشاريع.
- 3- التقييم: قياس الذات وقياس الآخرين، إعطاء قيمة للذات وللآخرين، مثالية الذات ومثالية الآخرين.
- 4- تحقيق الذات في علاقة مع تحقيق الأهداف.

1-3/ صعوبات الشخصية "La Personnalisation" عند المعاقين:

كما عند الأشخاص الآخرين تنتظم حول أبعاد ثلاث:

أ: صراع القدرة: طلب بإعادة تكييف المؤسسات: جعل المسلكية ممكنة وفي كثير من الأحيان تلقى الرفض مما يطرح إشكالية القدرة على الفعل.

ب: صراع المعنى: تسيير الإعاقة يتطلب ثلاث إستراتيجيات ممكنة الحزن على النقص التكيف أو إعادة التكيف (Rafaurd. J, et Al, 1994)

ج: صراع القيمة والتحقيق: كل شخص في حاجة إلى تحقيق مشاريع تطوير تصرفاته الشخصية إنجاز تحقيقات لها مميزاتها الخاصة.

2-3/ من وجهة النظر الإيتولوجيكية: الإنحراف أو الإصابات الحركية تهدف لدراسة الإدماج الاجتماعي للفئات المختلفة والمتعددة والتي تعاني من سوء التكيف الاجتماعي، وهذا يقود إلى مفهوم لعب الدور للمحافظة على الحياة، لماذا الدور؟

هذا المفهوم الذي نتج عن علم الاجتماع ليس نشاط أو سلوك، إذا كان الاقتراب البيو الوظيفي "bio- Fonctionnelle" والمتمثل في مجموع النماذج يظهر منطقي في حالة عدم القدرة على التوجه والاستقلالية في الحركة الجسمانية، وهذا يساعد في تفسير وتوضيح عدم القدرة للتشغيل والإدماج الاجتماعي والاستقلالية الاقتصادية، تعريف الدور، القدرة على أداء الوظائف اليومية وتحقيق الأدوار الاجتماعية الممكنة على سبيل المثال المكانة الاجتماعية.

- وهنا لا يمكننا إتخاذ المعطى البيولوجي والسيكولوجي أثناء محاولة تقييم الإدماج الاجتماعي للشخص المعاق.
- الإعاقة في المنظور الفزيو مرضي، والنفسو المرضي، المختص في إعادة التربية الحركية أو المربي لابد أن يذهب بعيداً إذا هدف إلى تميز الإعاقة كتظاهرة إجتماعية كنتيجة لبناء إجتماعي. لا مناص من دراسة الهوية النفسو سيكولوجية، تمثيل الذات واستقلالية الحالة.

التمثيلات الاجتماعية "Représentations" للشخص المعاق في إطار ما يسمى بالشعب من خلال مفاهيم النظريات الشخصية وتطور المكتسبات السببية في المنظور المعرفي مع تقبل فكرة أن التمثيلات الاجتماعية ناتجة عن البناء الاجتماعي للشخص معاق بالمعرفة النفسية اليومية "Paicheler" 1984 مع الأخذ بعين الاعتبار الملكية الخاصة للفكر الاجتماعي حيث وإن كانت هذه المعارف جاءت عن طريق نماذج معارفية فردية. لتمثيلات ومخططات شعبية للفهم اليومي لظاهرة الاعاقة "Paicheler" 1990 ولهذا التصور والتمثيل الرمزي. (Rafaurd. J, et Al, 1994).

- وفي هذا الإطار ركزنا على أهمية "L'iconicité" وهي نوع من الديانة يتم فيها عبادة الرسوم والتمثل "Figurative" في التمثيلات ومخططات الشعبية للفهم اليومي التلقائي لظاهرة الإعاقة "Paicheler" 1984 " هذا التمثيل "Figurative" تجند صور حسية حركية متنوعة بصرية خاصة فيما يتعلق بالإعاقة الجسمية، ويمكن أن يفتح المجال للألعاب رمزية غير عادية وغير منطقية تسمح ببناء المفاهيم اليومية لعناصر الواقع الاجتماعي للأشخاص المعاقين.

- التطورات الملاحظة تبين أن إمكانية الجمهور في ترجمة بعض مجالات الواقع تمر عبر مخططات تم تجريبها في مجالات أخرى مثال على ذلك فكرة المسلكية الاجتماعية مفهوم مجرد من خلال النموذج المسلكية الخاصة بإمكانية التحرك أو التنقل الجسمي.... إلخ.
- تدخل هذه السيرورات المنطقية المعرفية والتي درسها بعض الباحثين في مجال علم النفس اللغوي المعرفي، 1988 "Jackendorf" و "Talony" 1987، هدفت إلى تحليل الخطابات التي دارت حول الإعاقة وتطور تكون وجهات النظر الخاصة بالشخصية أو فيما يخص تصرفات الأشخاص المعاقين جسدياً.

بعد ذلك طبقنا هذه المفاهيم بوصفها نظريات خاصة بالشخصية لها سمة مميزة لتفسير علم النفس اليومي، هوية مفهوم الذات، هذا التوقع لا مناص منه حتما فيما يتعلق بأمر ظاهرة إعادة التنظيم النفسي والاجتماعي من خلال ما يسميه باحثين مدينة "Toulouse" صيرورة الشخصانية "Personnalisation".

إن بناء الهوية يمكن أن يكون دينامي خلال التجارب والتطور الثقافي لمفهوم الشخص التقدم بالسن أو إعادة بناء مواقف اجتماعية مختلفة. (Rafaurd. J, et Al, 1994).

خاتمة:

مما سبق عرضه يتضح أنّ موضوع الإعاقة له أهمية على المستوى الاجتماعي أكثر منه على المستوى النفسي، فالإطار الاجتماعي هو الذي يحدّد النمو النفسي الايجابي أو السلبي للفرد المعاق وهو الذي يحدّد ما إن كان هذا النمو يؤدي إلى نتائج ايجابية على

الفرد أو سلبية، فهو الذي يخلق منه فرد فعّال مثمر ايجابي في عطاءه وتعاطيه داخل المجموعة التي ينتمي إليها أو على العكس من ذلك يؤدي به إلى النحو السلبي وبالتالي ينتهج الأسلوب الاتكالي في تعاطيه مع المجتمع، حيث تكون في هذه الحالة تقييمه الشخصي متدنّي، ضعيف، غير فادر على مواجهة المواقف الحياتية والاجتماعية، فإذا أردنا أن نغيّر مسار الحياة لهؤلاء الأفراد من السلبية إلى الايجابية لا بدّ من تغيير النظرة الاجتماعية السلبية لهؤلاء وجعل الذهنيات أكثر تطوّرًا وملائمة لهؤلاء، ومن أجل ذلك لا بدّ من ثورة حضارية في مختلف مناحي الحياة خاصّة منها اليومية لعائلات المعاقين والمعاقين في حدّ ذاتهم، وذلك بتوفير الوسائل اللازمة والمسّهلة لتكيّف هؤلاء داخل بيئتهم من التهيئة العمرانية بمفهومها الواسع إلى تكييف البرامج التربوية والتعليمية والبرامج ذات العلاقة بالنمو في المناحي المختلفة الخاصة بذلك المجتمع.

المراجع باللغة العربية:

- 1- أحمد بن نعمان، هي هي الثقافة، دار الأئمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر 1996.
- 2- بدر الدين كمال عبدو، تقديم محمد أحمد بيومي، الإعاقة في محيط الخدمة الاجتماعية المكتب العلمي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1999.

المراجع باللغة الأجنبية:

باللغة الفرنسية:

- 1-Jean François Ravaud, Michel —Fardeau, Insertion social des personnes handicapées méthodologies d'évaluation, co-edition, CTNERHI et INSERM , France, 1994.

باللغة الانجليزية:

- 1-Apple, what postmodernist forget, cultural capital and official knowledge, en curriculo studies V 1, N 3,1993.
- 2-Fulcher, G, Disabling policies ? A comparative approach to education policies and disability, lewes falemr press, 1989.
- 3-Hahn, H: Public support for rehabilitation programs : The analysis of us disability policy en disability handicap et society, 1986 .
- 4- Morris, community care or independing living, York, Joseph Rowntree foundation, 1993.
- 5-Oliver, Disability and dependency, A creation of industrial societies en barton, L, éddisability and dependency, lewes flamer press, 1989.
- 6-Scholl, G, what does it mean to be blind ? en foundation for blind and visually handicapped children and youth, AFB. New York, 1986.
- 7-Shakespeare, T: Disable people's self organization : a new social movement? en disability. Handicap and society, 1993.
- 8-Young, I : Justice and the politics of difference, New Jersey, Princeton University press, 1990.

باللغة الاسبانية:

- 1-Bruner, J, Actos de significado, alianza, Madrid, 1990.
- 2-Sorrentino, A, Handicap y rehabilitación,. Unabrújula sistémica en el universo relacional del niño con deficiencias físicas, piados, Barcelona, 1990.